جامعة الدول العربية رابطة الجامعات الإسلامية جامعة القاهرة

# بحـــث

# تأثير العقيدة والشريعة على الفنون والعمارة الإسلامية

## نموذج أقطار وسط آسيا

إعـداد

أ.د / رأفت غنيمي الشيخ
عميد كلية الآداب ـ جامعة الزقازيق سابقاً
مؤسس معهد الدراسات والبحوث الآسيوية

**القاهرة**
**شوال 1428هـ / أكتوبر 2007م**

تعرف أقاليم أسيا الوسطى باسم بلاد ما وراء النهر . نهر جيحون . وتعرف أيضاً باسم تركستان الغربية تمييزاً لها عن تركستان الشرقية التي صارت تحت السيطرة الصينية ، وهذه الأقاليم تضم أحواض نهري سيحون وجيحون وبحر آرال الذي كان يعرف أيضاً باسم بحر خوارزم .

**وتضم هذه الأقاليم ست مناطق هي :**

1 . فرغانة وقصبتها أخسكيت .
2 . أسبيجاب ومركزها أسبيجاب .
3 . الشاش وهي في الأغلب اسم مدينة طشقند وقصبتها بنكث أو طاشقند .
4 . أشروسنة وقصبتها بنجث .
5 . الصغد وقصبتها سمرقند .
6 . بخارى وقصبتها بخارى .[1]

وتشكل أرض تركستان ( آسيا الوسطى ) شبه منحرف تحده من الجنوب جبال الهملايا ومن الجنوب الغربي هضبة البامير ، ومن الغرب جبال تيان شان ، ومن الشمال جبال الألتاري وبابلونوي وسانوفوري ، ومن الشرق جبال كنجان وكوكونور . وتبلغ مساحة آسيا الوسطى المحصورة بين هذه الحدود حوالي ستة ملايين كيلو متر مربع،وإذا استثنينا الصينيين الذين

(1) محمود شاكر : تركستان ، بيروت ، 1970م ، ص 26 .

يسكنون آسيا الوسطى أمكن القول بأن العنصرين اللذين يعمران تلك المناطق هما العنصر التركي والعنصر المغولي.[2]

وهي . أي أرض تركستان أو آسيا الوسطى . إلى جانب الأقاليم الستة تضم جزءاً كبيراً من خراسان ، وهي الواقعة في جمهورية تركمانستان ، التي تحدها غرباً إيران وجنوباً افغانستان ، وشرقاً أوزبكستان ، وشمالاً الجزء الشمالي الغربي من قازاخستان وبحر الخزر أو قزوين. [3]

وهذه المنقطة . منطقة وسط آسيا . تنتشر فيها بعض الأودية وتحدها سلسلة جبلية من تيان شان وألتاي ، ومن أهم الأنهار التي تسير فيها سيحون وجيحون وأترك والميرغاب ، وتسكنها عدة قبائل هي :

أ . القازاق أو القرغيز :والكلمة تعني الفرسان،ويسكنون في المنطقة الممتدة من بحر قزوين حتى جبال تيان شان ، وهم فريق من الأوزبك انشقوا على قومهم وسموا من أجل ذلك قازاق ، وكان البدو يطلقون هذا الاسم على الجماعات التي تنشق على أقوامها وتحاربها. [1]

ب . القلمق: وينتشرون في المنطقة الواقعة بين نهر الفولجا وأنهار أمبا ، وأور ، وأرال .

ج . التركمان : مجموعة من القبائل مغولية الأصل تنتشر في المنطقة الممتدة من بحر قزوين حتى الحدود الإيرانية الشرقية ، ولم تتمكن من إقامة دولة خاصة بهم ، ومع ذلك خرج منهم مؤسسو أكبر امبراطوريتين تركيتين وهما الإمبراطورية السلجوقية والإمبراطورية العثمانية ومنذ القرن السادس عشر كان بعض أقسام التركمان يخضع للأوزبك في خوارزم وبعضهم للقجاريين وبعضهم للفرس ، وكانوا في أثناء الحروب التي تقوم بين هذه الدول ينضمون أحياناً إلى هؤلاء وأحيانا إلى هؤلاء وأحياناً يحارب بعضهم بعضاً ، ولكنهم مع هذا كانوا يغلبون أعداءهم ، وكان التركمان أشد الناس مقاومة للروس وآية هذا أن جيوش الروس لم تفقد العلم والمدافع إلا في حربها مع التركمان عام 1880م .[2]

---

(2) د.بارتولد المستشرق الروسي:ترجمة أحمد السعيد سليمان: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، القاهرة 1958م،ص 9
(3) د. محمد على البار : المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ ، جدة 1403هـ / 1983م ، ص 43.
(1) د . بارتولد : المرجع السابق ، ص 241 .
(2) نفس المرجع : ص ص 246 - 247 .

د . الأوزبك : امتد وجودهم ما بين الحوض الأدنى لنهر الفولجا حتى بحر آرال ، كما امتد نفوذهم إلى بخارى وطشقند وسمرقند وخيوة وخوقند .[3]

وتضم منطقة وسط آسيا أربعة عشر مجموعة سلالية هي :

1 . الشعوب المتحدثة بالتركية : والمعتقد أن الموطن الأصلي لهم هو القطاع الشرقي من السهل الأوراسي ، والوضع الحالي للأتراك وانتشارهم جاء نتيجة لمجموعة الهجرات التي خرجت من الموطن الأصلي ، وكان أهم هذه الهجرات تلك التي تسللت داخل الشرق الأوسط وآسيا الوسطى وأوروبا ، وأحدثت تأثيراً هاماً في تاريخ العالم ، فهي الهجرات الأربع : الهون . الأتراك . الأجوز . الكيبشاك . المغول .

2 . التتار Tatars وتعني رامي السهام ، والاسم أعطاه الروس لمجموعة متنوعة من الشعوب المتحدثة بالتركية وغيرها قبل وصول الإسلام بوقت طويل . وبعد وصول الإسلام مال الروس إلى تسمية كل المسلمين باسم التتار ، وهم يعيشون في حوض الفولجا. كاما وأوزبكستان وقازاخستان ، وتتاريا ، وبشكيريا ، إلى جانب انتشارهم في سيبيريا وأوكرانيا .

3 . الأيجور Aigur : ويعيشون في إقليم سينكيانج المتمتع بالحكم الذاتي في الصين ، وفي الصين ، وفي أوزبكستان وقرغيزيا وطشقند .

4 . الأزيري Azeri : وهم الأذربيجانيون ويعيشون في إيران وفيما كان يعرف باسم الاتحاد السوفيتي إلى جانب العراق جنوب منطقة كردستان ، وحضارتهم الأصلية فارسية أكثر منها تركية. [1]

5 . الباشكير Bashkir : وبلادهم هي باشكيريا إحدى الجمهوريات السوفيتية السابقة وهم ينتشرون خارجها أيضاً في قازاخستان وأوزبكستان وطاجكستان وأوكرانيا وغيرها .

6 . الأوزبك Uzbek : وقد تحدثنا عنهم كقبيلة تسكن وسط آسيا ، وينتشرون الآن إلى جانب أوزبكستان في كل من قازاخستان وأقلية بشمال أفغانستان ، والجزء الغربي من تركستان الشرقية ويعتبرون أكبر جماعات تركية في الاتحاد السوفيتي السابق ، والثانية من حيث الكبر في العالم بعد أتراك تركيا.

---

(3) د . محمد حسن القيلة : أواسط آسيا الإسلامية بين الانقضاض الروسي والحذر البريطاني ، القاهرة ، 1986م ، ص ص 17 ، 22 .

(1) د. السيد خالد المطري : دراسات في سكان العالم الإسلامي ، ص ص 300 - 303 .

7 . القازاق Kazakh : وموطنهم التقليدي الذي يمتد من بحر قزوين في الغرب إلى بحيرة بلكاش في الشرق ، وتحده الضفة اليسرى من نهر سرداريا في الجنوب وغابة التايجا الروسية في الشمال ، ومعظمهم في جمهورية قازاخستان ، وتوجد أقليات منهم في تركستان الشرقية الصينية . وفي أفغانستان ، وفي جمهورية منغوليا الشعبية وغيرها .

8 . التركمان : وقد تحدثنا عنهم كقبيلة لم تكون دولة في تاريخهم ، وهم مسلمون سنيون على المذهب الحنفي، ويعيشون في تركمانستان وفي العراق وسوريا وتركيا كأقليات.[2]

9 . الطاجيك : Tajik ويعتبرون أقدم الجماعات السلالية في آسيا الوسطى وينتسبون بدرجة قوية إلى الإيرانيين والأفغان في الجنوب . ويعيش نصفهم الآن في جمهورية طاجيكستان ، والنصف الآخر في جمهوريات وسط آسيا الأربع، أوزبكستان قازاخستان قرغيزيا ، تركمانستان . بالإضافة إلى أقلية تعيش في تركستان الشرقية .

10. القرغيز Kirgiz : وتكلمنا عنهم كقبيلة ، وهم من الناحية السلالية منغول يتكلمون لهجة تركية شمالية غربية ويسكن 90% من القرغيز الآن في جمهورية قرغيزيا ، وتوجد أقليات قرغيزية في جمهوريات أوزبكستان، طاجيكستان ، قازاخستان وغيرها . ويوجد خلط في استخدام كلمة القرغيز ، حيث كان الروس يشيرون إلى كل من القرغيز والقازاق باعتبارهم قرغيزا ، ويلحقون الصفة كارا Kara أي الأسود . بالقرغيز فيسمونهم كارزاك Karsak ، وقد حدث ذلك بسبب وجود بعض التشابه في استخدام الكلمات قازاخ Kazakh وكازاك Kazak وتعني في الروسية قازاخ Kazakh وكاساك Casack . [1]

11. الكاراكالباك Karakalpak : يرجع الاسم في أصوله إلى الشعب التركي الذي عاش على رافد من نهر الدنيبر في القرن الثاني عشر الميلادي ، وتعني هذه التسمية " لابس القبعة السوداء" وينتسبون بدرجة قوية إلى كل من القازاق والأزوبك وبخاصة إلى القازاق ويعيشون متفرقين في تركيا وإيران وأفغانستان ، وتركمانستان ، وأوزبكستان ، وقازاخستان ، إلى جانب وجودهم في أو بالقرب من واحات كاراكلباك .

---

(2) المرجع السابق ص ص 304 - 306 .
(1) المرجع السابق : ص ص 307 - 309 .

12. العناصر القوقازية Ibero-Caucasian : وهم مسلمون يعيشون في المنطقة الممتدة بين البحر الأسود وبحر قزوين، ويطلق عليهم اسم القوقازيين، ويسكنون الأودية الجبلية المرتفعة المشهورة في السفوح الشمالية ، وقد هاجرت أعداد كبيرة من القوقازيين من موطنهم الأصلي ليعيشوا في جيوب منعزلة عبر آسيا الجنوبية الغربية ، بينما لا تزال الأغلبية الساحقة تعيش في المنطقة التي نظمتها الحكومة السوفيتية عام 1921م كجمهورية مستقلة ذاتياً داخل الاتحاد السوفيتي السابق هي "جورسكايا"، ثم انقسمت هذه الجمهورية إلى وحدات سياسية عديدة تغيرت حدودها باستمراربحيث أصبح القوقازيون المسلمون يقسمون إلى ثلاثة أقسام :

أ . الداغستانيين:يتكون من32جنسية مستقلة على طول الشاطئ الغربي لبحر قزوين.

ب . الشاشان / أنجوش : غرب داغستان ، وكانوا دائمي الثورة ضد الروس .

ج . الشركس / الأبخاز ، الأباز أو الأبخاز يعيشون في إقليم قرتشاي / شركس .

والشركس يعيشون على الشاطئ الشمالي الشرقي للبحر الأسود ، وسفوح التلال الشمالية للقوقاز. [1]

13 . القرتشاي Karachay : وهم جماعة قوقازية من ناحية السلالة ، ويسكنون سفوح التلال الشمالية لجبال القوقاز ، وأصلهم مختلط ، وينتمون تاريخياً إلى الهون ، والبلغار والخازار ، والكيبشاك .

14 . الغجر Gypsies ، أو النور Nawar ، وهم منتشرون في كثير من دول الشرق الأوسط وآسيا الوسطى والقوقاز ، وأفريقيا الشمالية ، وجنوب البلقان والقطاع الشمالي الغربي من شبه القارة الهندية .

وإقليم القوقاز مجموعة من المرتفعات والسهول تنقسم جغرافياً إلى :

1 . مرتفعات القوقاز العظمى في شمال الإقليم وهي الممتدة من شبه جزيرة تامان الواقعة بين البحر الأسود إلى بحر آزوف وإلى بحر قزوين ، وتعتبر مرتفعات القوقاز العظمى هذه وخط تقسيم المياه بها هما الحد الفاصل بين قارتي أوروبا وآسيا .

---

(1) المرجع السابق : ص ص 309 - 312 .

2 . مرتفعات القوقاز الصغرى وتمتد بين منخفض " كولخيدا " في الغرب ومنخفض "كورا" في الشرق ، وهذه المرتفعات يحدها نهر " كورا " الذي يجري إلى شمالها ، ورافده نهر "أراكس" الذي يمتد إلى جنوبها وكأنها تمتد بين أحضان هذين النهرين .

ويتحدث سكان آسيا الوسطى عدة لغات أهمها اللغة التركية ، وتنتشر بلهجاتها العديدة في الوقت الحاضرفي آسيا الوسطى من شمال غرب الصين عبر الاتحاد السوفيتي السابق إلى إيران ، على جانب آسيا الصغرى وأجزاء من أوروبا الشرقية ، وتنقسم اللغة التركية إلى عدة فروع هي العثمانية والأزيرية في جنوب غرب المنطقة ، والأزبكية والتركية في جنوبها الشرقي ، والقازاقية والناجاي Nagai والفولجاترتار في شمالها الغربي ، والأيجورية والياقونية في الشمال الشرقي .

ومن فروع اللغة التركية كذلك ، اللغة الآزرية وهي اللغة الرئيسية لجمهورية أذربيجان والمقاطعات الشمالية الغربية من إيران ، كما تستخدم لغة قومية في شرق ما وراء القوقاز وجنوب داغستان ، واللغة التركمانية التي تنتمي إلى المجموعة الجنوبية الغربية من اللغات التركية أو لغة الأيجور ، ولغة الأوزبك التي تعتبر اللغة الرئيسية لجمهورية أوزبكستان ، وتشكل ثاني أكبر اللغات التركية بعد التركية الأناضولية .

وهناك فروع أخرى أقل أهمية مثل اللغة الأيجورية، واللغة القرغيزية، ولغة الكاراكالباك والقازاقية ، والتتارية ، والباشكيرية ، ومما يلاحظ على كل فروع اللغة التركية أنها تأثرت في أبجديتها باللغات الفارسية والعربية ، وبعضها تستخدم الأبجدية العربية ، مثل التركية الأناضولية ( العثمانية ) إلى جانب الفارسية. [1]

ويدين معظم سكان وسط آسيا بالدين الإسلامي منذ أن تم فتح تلك الديار في عصر الخليفة عثمان بن عفان وفي عهد الخلافة الأموية، وتقسم المسلمون هناك إلى سنة وشيعة وتبلغ نسبة المسلمين في وسط آسيا بالنسبة لعدد السكان في تلك الأقاليم 75% ويشكل الشيعة أغلبية في بعض جمهوريات آسيا الوسطى، حيث تبلغ نسبتهم في طاجيكستان 98% من عدد المسلمين ،

(1) المرجع السابق : ص ص 468 - 471 .

وفي أذربيجان يمثلون نسبة هامة من المسلمين، إلى جانب أقلية كبيرة من الطائفة الإسماعيلية الذين يدينون بالزعامة الروحية لأغاخان وخلفائه وهم شيعة يسكنون في هضبة البامير.[2]

## إسلام أهل آسيا الوسطى :

بدأ دخول الإسلام إلى تلك المنطقة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب،على يد القائد العربي والصحابي الجليل حذيفة بن اليمان سنة 18هـ / 638م ، ثم على يد قائده عتبة بن فرقد السلمي الذي صالحه أهالي هذه البلاد التي عرفت باسم بلاد ما وراء النهر ، إلى جانب القائد العربي الأحنف بن قيس الذي فتح إقليم خراسان وأراضي الديلم وطبرستان .

وفي عهد الخليفة عثمان بن عفان توطدت الفتوح السابقة ووسعت لتشمل شمال أفغانستان الحالية ، وفي عهد معاوية بن أبي سفيان مؤسس الدولة الأموية استمرت الفتوحات الإسلامية حيث عبر الصحابي الجليل الحكم بن عمرو الغفاري عام 50 هـ ، 670م نهر جيحون وفتح بلاد الصغانيان ، وفتح القائد العربي عبيد الله بن زياد بخاري وبيكند عام 55هـ / 674م ، وفتح سعيد بن عثمان سمرقند وقد استشهد أثناء معركتها قثم بن العباس ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم .[1]

استمرت الفتوحات الإسلامية في وسط آسيا في عهد الدولة الأموية حيث فتح موسى بن عبد الله بن حازم بلدة ترمذ. موطن الإمام أبي عيسى الترمذي . وذلك عام 570هـ/689م.

ثم جاء قتيبة بن مسلم الباهلي الذي يعتبر بحق فاتح بلاد ما وراء النهر ، ووطد الإسلام في تلك البقاع من عام 88 . 96هـ / 714.706م ، ووصلت جيوشه إلى حدود الصين ، وخضع له إمبراطور الصين وبعث له الجزية ، وفتح كشغر ووطد أركان الدولة الإسلامية فيما يعرف اليوم بتركستان الغربية، أي أوزبكستان وتركمانستان، وطادجيسكتان ، وقيرغيزيا وقازاخستان .[1]

---

(2) نفس المرجع ص ص 512 - 516 .
(1) د . محمد على البار : المرجع السابق ، ص ص 36 - 37 .
(2) نفس المرجع : ص ص 37 - 38 .

وهذه المناطق عرفت باسم " تركستان " وقد ظهرت فيها مراكز حضارية إسلامية وذلك خلال عهد الخلافة العباسية ، حيث ظهرت مدينة " مرو " عاصمة خراسان ومركز الدولة الطاهرية ، ومدينة "غزنة " وكانت مركزاً للدولة الغزنوية وتقع في بلاد الأفغان جنوب كابل، ومدينة " بخارى " وكانت مركزاً للدولة السامانية ، ومدينة " سمرقند " عاصمة بلاد الصغد وحاضرة تيمورلنك ، وقد نبغ من علماء هذه المناطق كل من الإمام "البخاري" المتوفي عام 256هـ والإمام "مسلم" المتوفي عام 261هـ، "والترمذي" المتوفي عام 279هـ، "والنسائي" المتوفي عام 303هـ ، "والبيهقي" المتوفي عام 565هـ ، وكل هؤلاء من أئمة الحديث إلى جانب "الطبري" المتوفي عام 310هـ المؤرخ والمفسر الذي عاش في بخارى في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي . وأبي دلف مسعد بن المهلهل الخزرجي الذي اشتهر كرحالة وجغرافي وشاعر[3] ، و"الخوارزمي" المتوفي عام 428هـ المؤرخ والشاعر ، "وابن سينا" المتوفي عام 428هـ الطبيب الفيلسوف ، و"الغزالي" صاحب كتاب إحياء علوم الدين والمتوفي في 505هـ ، و"الزمخشري" المتوفي عام 538هـ ، وهو من أئمة التفسير ، وأكثر أشراف تلك المناطق يدعون أنهم من أصل عربي ، وأن آباءهم قدموا مع مسلمة بن عبد الملك ، وهم يفتخرون بذلك .[1]

وكان إلى جانب العلماء في بلاد ما وراء النهر مؤسسات علمية ، فكانت من أهم دُور وخزائن الكتب العامة بالمشرق الإسلامي هي: دار كتب الري ، ورامهرمز ، وساوه ، وجنزة والخجندي ، فيروز أباد ، النطنزي ، كما كانت خزائن الكتب الملحقة بالمساجد هي : مساجد مرو ، نيسابور ، الجامع المنيعي ، ومسجد عقيل ، وتاج الملك بأصبهان ، وجامع الخصيب ابن مسلم ، غير مساجد بخارى وخوارزم وغيرهما .

أما خزائن الكتب الملحقة بالمدارس فكانت كثيرة ، ومنها مدرسة ابن حبان البستي ، ومدارس مرو، غير المدارس النظامية ، وكذلك كتب الخانقوات والرباطات ، ومرصد مراغة ومحلة الربع الرشيدي ، وتم وقف كثير من هذه الكتب ببلدان المشرق الإسلامي .

وقد ظلت تلك المناطق خاضعة للدويلات الإسلامية بالمشرق حتى اجتاحها "جنكيز خان" أوائل القرن الثالث عشر الميلادي الموافق للقرن السابع الهجري ، ثم خلفه في زعامة المغول

---

(3) د. محمد منير مرسي : أبو دلف ورسالته الثانية ، مجلة الخليج الجديدة ، عدد 44 ، أكتوبر 1979م .
(1) لوثروب ستودارد : ترجمة عجاج نريهض : حاضر العالم الإسلامي ، ص 88 .

هولاكو حفيد جغتاي ابن جنكيز خان الذي وصل في زحفه إلى بغداد فخربها ثم إلى الشام فهزمه سلاطين المماليك في مصر في موقعة عين جالوت بفلسطين عام 1260م/ 658هـ ، منذ ذلك الوقت تجزأت دولة المغول الكبرى حتى ورثها التتار على يد تيمور لنك[2] الذي مد سلطته حتى روسيا وحرص على إقامة الشعائر الإسلامية حتى مات عام 808هـ /1405م.

استمر حكم الدولة العربية الإسلامية سواء الخلافة الأموية أو الخلافة العباسية لبلاد ما وراء النهر ما يقرب من قرنين من الزمان ، حتى حكمها السامانيون عام261هـ/874م. وكانت هذه البلاد تابعة لولاية خراسان ، وقد ظل الحكم العربي في تلك البلاد يتعرض للفتن والاضطرابات طوال قرنين بسبب بعد تلك البلاد عن مركز الخلافة في دمشق أو في بغداد . إلى جانب ميل السكان الفطري إلى الحروب ومناصرة كل ثائروأشهرهم المقنع الخراساني الذي ادعى النبوة.[3]

ومن الإنصاف القول بأنه بعد حركة الفتوحات الإسلامية الأولى لبلاد ما وراء النهر ، فقد انتشر الإسلام هناك على يد الدعاة إلى الله من المسلمين وعلى يد التجار الذين نشطوا على طول طريق الحرير ، الممتد من البحر الأسود غرباً إلى الصين شرقاً ، وكانوا نماذج حقيقية للمسلمين الملتزمين .

بدأ ظهور السامانيين بدخولهم مدينة بخارى في رمضان عام 261هـ/874م وامتد ليشمل خوارزم وكل بلاد ما وراء النهر في عهد إسماعيل بن أحمد الساماني ويجعل دولته قوية بعد أن كانت مجرد إقليم يتبع إمارة خراسان ، واتخذ من بخارى عاصمة له بدلاً من سمرقند ، حيث ازدهرت فيها حركة العلم والعمران ، وفيها عاش إمام المحدثين أبو عبد الله البخاري صاحب جامع الصحيح .

وعند موت إسماعيل الساماني عام 295هـ / 907م أخذ الضعف يدب في أوصال دولة السمانيين حتى انتهت عام 395هـ / 1004م على يد دول تركية ظهرت في وسط آسيا مثل الزياريون في جرجان وطبرستان ، والبويهيون في العراق ، والغزنويون في غزنة ، والأوبغوربون في التركستان الشرقية وعند سفوح جبال تبان شان ، ثم السلاجقة .

---

(2) تيمور لنك تعني تيمور الأعرج .
(3) د. أحمد محمود الساداتي : تاريخ الدول الإسلامية في آسيا وحضارتها ، ص 174 .

وعندما ظهر الزعيم المغولي جنكيز خان بوسط آسيا أخضع لسلطانه أغلب القبائل التركية حتى أصبحت دولته تضم خوارزم وبخارى وسمرقند وخربها ، ثم جاء هولاكو حفيد جغتاي ابن جنكيز خان ليتولى الزحف غرباً فخرب معاقل الإسماعيلية الشيعة في إيران ، ثم دخل بغداد فخربها وأنزل بأهلها القتل والاغتصاب كعادة المغول،كما قتل الخليفة العباسي المعتصم بالله عام 656هـ / 1258م ، وحاول هولاكو الاستيلاء على بلاد الشام لولا وقفة سلاطين المماليك في مصر والشام الذين هزموا المغول في عين جالوت عام 658هـ/1260م.

وكان الغزو المغولي لوسط آسيا قد فتح الباب على مصراعيه أمام النفوذ التركي بسبب استخدام زعماء المغول للقبائل التركية هناك في قواتهم المحاربة وفي تسيير أمور الدولة وعلى الرغم من أن الحكم المغولي استمر حوالي قرنين من الزمان، فقد خلفه الحكم التيموري التركي ثقافة وأصلاً والذي بدأ بتيمور لنك في الفترة من 765هـ/1363م إلى وفاته عام 807هـ/1405م ، بعد أن نجح في الاستيلاء على كل وسط آسيا ودخل موسكو عاصمة روسيا وأحرقها عام 786هـ/1384م ، إلى جانب إيران والعراق وشمال الشام .

وتوالى على حكم وسط آسيا حكام جدد بعد التيموريين الذين استمروا في حكم تلك المناطق حوالي قرن من الزمان ، أمثال أوزبك والأمراء الذين خلفوه وعرفوا باسمه كما عرفت المنطقة التي عاشوا فيها باسم أوزبكستان ، كما ظهر أيضاً الأمير شيبان وخلفائه الذين عرفوا بالشيبانيين وكان أمراء الأوزبك وأمراء الشيبانيين كالتيموريين يدينون بالإسلام ويهتمون بالحضارة الإسلامية ، وقد حكم الأوزبك والشيبانيون في الفترة من 906هـ / 1500م إلى عام 1006هـ / 1597م أي حوالي قرن من الزمان .

وتوالى على حكم المنطقة قبائل تركية أو مغولية مثل الاشتراخانيون الذين استمر حكمهم لما يقرب من قرن من الزمان من 1006هـ/ 1597م إلى 1099هـ/ 1689م، والمنغيتيين الأوزبك الذين خلفوا سبحا نقلى خان الذي خلف الاشتراخانيين ، واستمر حكم المنغوليين وأميرهم معصوم في الفترة من 1199هـ/1784م إلى عام 1242هـ/1826م ، ثم الأمير مظفر الدين الدي حكم في الفترة من عام 1277هـ/1860م إلى عام 1287هـ/1870م الذي اصطدم بالغزو الروسي لوسط آسيا .

## تأثير العقيدة على العمارة الإسلامية بوسط آسيا :

تمثل منطقة وسط آسيا رافد من أهم روافد التراث الإسلامي الثقافي ، من خلال مؤلفات علماء تلك المنطقة الذين هم . كما رأينا . كانوا رواداً في الدراسات الإسلامية والعلمية والإنسانية إلى جانب أئمة الحديث النبوي الشريف ، أمثال البخاري ، ومسلم ، والترمذي ، والنسائي ، والبيهقي ، والمؤرخ والمفسر الطبري ، والجغرافي أبي دلف مسعد بن المهلهل الخزرجي ، والطبيب الفيلسوف ابن سينا ، والفيلسوف الفارابي ، وأبي حامد الغزالي صاحب كتاب إحياء علوم الدين ، بالإضافة إلى الزمخشري الذي هو من أئمة التفسير ، وغير هؤلاء ممن تركوا للمسلمين تراثاً إسلامياً خالداً .

وإذا كان هؤلاء الرواد في التراث الإسلامي الخالد قد نبغوا وعاشوا في منطقة وسط آسيا ، فإنهم تأثروا ببيئتهم وأثروا فيها باعتبار أن الإنسان ابن بيئته ، كما تقول الحكمة الإنسانية ، ومن ثم كانت مظاهر الحضارة والعمران بمدن وأقاليم وسط آسيا تمثل علامة بارزة تشير إلى تأثرها بالعقيدة الإسلامية ، وعليه فإننا عندما نناقش المظاهر الحضارية وخاصة العمارة الإسلامية في كل آلياتها ومجالاتها ، التي هي إبداع إنساني . نجد التأثير العقيدي الإسلامي واضحاً في هذه الآليات والمجالات .

### أولاً : المساجد :

حظيت مدن وسط آسيا المزدهرة في عصورها الإسلامية بإنشاء مساجد كبيرة ومتعددة ، فإن المساجد الكبيرة في تلك المنطقة مثل مسجد "بيبي خانم"[1] في سمرقند، ومسجد "كلان"[2] في بخارى ، إنما هي مساجد تعيد إلى الذاكرة شكل المساجد العربية الأولى ، حيث نجد الإيوانات الكبيرة على جوانب المسجد ، بدلاً من الأروقة التي تغطيها قباب ، أما المحراب فيواجه المدخل ، وهو أهم جزء في المنشأة تغطيه قبة ، والمحراب على شكل حدوة الفرس في معظم الأحوال ، وله حافة مستطيلة ، ويغطى بقدمين من الطوب اللامع المزخرف بالأشكال الهندسية ، وزخارف خطية لآيات قرآنية[3].

أما المئذنة فهي على شكل برج ينادي فيه على المسلمين لإقامة الصلوات الخمس ، وتشيد المآذن بمدن وسط آسيا اسطوانية تتسع عند القاعدة وتستدق عند القمة ، وكانت سنة التطور

---

(1) بيبي خانم : زوجة تيمور لنك كما تروي الروايات ، ويقع المسجد في مشرق ميدان ريجستان في سمرقند .
(2) مسجد كلان: هو ثاني أكبر مسجد في آسيا الوسطى في مدينة بخاري .
(3) The Pearls of Uzbekistan, p. 10.

تقضي بتزيين المساجد وزخرفتها حتى تتفق هذه المساجد مع عظمة الدولة الإسلامية وسلطانها الذي امتد من الهند في الشرق حتى المحيط الأطلسي في الغرب ، كما أن المساجد عدت بمثابة معاهد للدراسة والعلم ومكاناً للتحدث والتشاور في أمور الدولة يلقى فيها الخليفة أوامره وتعليماته ، ويحث فيها على الجهاد في سبيل الله ، ويدعو المؤمنين إلى الانخراط في سلك الجيش للدفاع عن حدود البلاد . [4]

ويلاحظ أن المباني التي أقيمت في مطلع القرن العاشر الهجري بمدن وسط آسيا مارست بداية إحلال الآجر محل الطوب اللبن ، ففي مسجد " ديكرون" الصغير ، الذي أنشيء في القرن الحادي عشر بمدينة " الخزر" . على بعد أربعين كيلو متراً من بخارى . نرى خليطاً من البناء باللبن والآجر ، فحوائط المسجد مصنوعة من اللبن ، بينما الدعائم والعقود الحاملة للقبة المركزية من الآجر .[5]

## ثانياً : المدارس والمكتبات :

انتشرت المدارس والأربطة والمكتبات في مدن وسط آسيا المزدهرة ، أمثال بخارى وسمرقند وغيرها مثل طشقند وفرغانة وكاشغر وافراسياب وترمذ وهرات وخوقند ونسف وخوارزم وبلاس غون ، حيث تم بناء المئات من المدارس ودور العلم فيها، وقد خَّرجت هذه المدارس مئات العلماء ، الذين نعدهم خيرة علماء الإسلام حتى اليوم ، وكان منهم المحدث والمفسر والفقيه والأديب وعالم اللغويات والفيلسوف والمتصوفة .

وعلى مدى التاريخ تم إنشاء مدارس عديدة وكثيرة جداً في مدن وسط آسيا ، وأصبحت كل مدرسة فيها بمرور الأيام مركزاً علمياً وثقافياً كبيراً يخدم الحضارة الإسلامية ترى منها مئات بل آلاف العلماء الذين كانوا يتخرجون منها مثل السيل كل عام .فكان كل شخص منهم بمثابة

---

(4) محمد الحسيني عبد العزيز : مجلة الوعي الإسلامي ، الكويت ، يناير 1990م.
(5) أوقطاي أصلان آبا : فنون الترك وعمائرهم ، ترجمة أحمد السيد سليمان ، استانبول ، 1997م ، ص 11 .

الشعلة التي تضيء الحضارة الإنسانية في كل مجال من مجالات العلوم الإسلامية والإنسانية [1].

وكانت مدارس بخارى . على سبيل المثال . تعد مثل الجامعات الدولية يفد إليها الطلاب من كل أقاليم تركستان (وسط آسيا) ، ومن أقطار الشرق الأوسط والأناضول والصين والهند والقرم وإيران وأفغانستان .[2]

ومن أمثلة مدارس " سمرقند " مدرسة زوجة تيمور لنك ، وكانت امرأة متدينة أنشأت مدرسة باسم " بيبي خانم مدرسة " ، وكانت كل الأموال التي أنفقت على هذه المدرسة من مالها الشخصي ، فكان دور هذه المدرسة دوراً حيوياً إذا ما عرفنا أنه كان يدرس بها ألف طالب ، وبجانب هذه المدرسة التي أنشأتها " بيبي خانم " كانت قد أوقفت للأعمال الخيرية أراض كثيرة ومزارع ، هذا إلى جانب الأموال التي كانت تنفقها في الخير ، وعلى هذا كانت كل احتياجات الطلاب في هذه المدرسة من مأكل ومشرب ، وكذا رواتب الأساتذة بها ، كانت تخصص من دخل الأراضي والمزارع التي كانت تملكها .

ويوجد نموذج آخر وهو " تركان خاتون " زوجة ملك شاه المقام العالي ، فقامت هذه المرأة أيضاً ببناء العديد من المؤسسات التعليمية ، وكذا المنشئات التجارية ، وكان هذا أيضاً بمثابة الدافع الذي جعل النساء في هذا العصر يتسابقون في بناء المدارس والمؤسسات الخيرية في مدن وسط آسيا ، بمثابة تنافس حضاري وإيماني وإسلامي جديد . [1]

وكانت المكتبات تمثل إشعاعاً ثقافياً إسلامياً ، فعلى سبيل المثال كانت مكتبات مدينة بخارى مشهورة بقدر مدارسها وخاصة مكتبة القصر الساماني التي أنشئت برعاية واهتمام خاص من الحكام السامانيين ، هذه المكتبة كانت في جمالها وفخامتها وحجمها تجعلها أكبر مكتبات ذلك العصر على الإطلاق ، وعندما زار الطبيب الفيلسوف ابن سينا (980-1037م) هذه المكتبة ، ورأى ما بداخلها قال : لقد دخلت مكتبة كبيرة جداً بها عدد كبير من الغرف ، وكل غرفة منها مليئة بالكتب المتراصة فوق بعضها ، وكانت هناك غرفة من هذه الغرف مليئة عن آخرها بالكتب الإسلامية ، وغرف أخرى عن العلوم الفنية الحديثة ، ولم أر في حياتي قبل ذلك

---

(1) Oglu. (G.R.: Kultur Bakanligi, Orta Asya' da Turk P.68.

(2) نصر الله مبشر الطرازي : نبذة تاريخية عن مدينتي بخارى وخيوة . ص 8 .

(1) Oglu ( G.R.) : Op. cit .

ولا بعد ذلك مكتبة عظيمة مثل هذه المكتبة في تنظيمها وما تحويه من كتب قيمة ، والتي تعلمت منها الكثير .[2]

**ثالثاً : العمارة الإسلامية :**

تلاحظ عند دراسة مدن آسيا الوسطى وازدهارها الإسلامي والعلمي وعلمائها الذين أثروا المكتبة الإسلامية بتراث إسلامي حضاري خالد أن العمارة الإسلامية كانت الطابع البارز في منشئات هذه المدن ، ونسوق مثلين لمدينتين من المدن الإسلامية في الآتي :

**أ . مدينة بخاري :**

كانت منذ نشأتها مركزاً للعلوم الإسلامية المتنوعة ، ليس فقط في عهودها الإسلامية الأولى فحسب ، بل أيضاً في العصور اللاحقة ، وقد عاشت بخارى عهدها الذهبي في عصر السامانيين ، وكانت بخارى لفترة طويلة هي الميدان الخصب لعلماء كثيرين حتى قيل أنها كعبة العلم ، وكانت مكتبات بخارى مشهورة بقدر مدارسها . كما ذكرنا .

ويذكر السيد عبد المؤمن السيد أكرم[3] ابن عم الأمير محمد عالم خان ، أمير بخارى السابق أن المدارس في بخارى وعددها أكثر من 100 مدرسة كانت تنقسم عدد حجراتها ، والأوقاف الموقوفة عليها ، إلى مدارس كبرى وعددها 16 مدرسة ، ومدارس كبيرة وعددها 16 مدرسة ، ومدارس متوسطة وعددها 60 مدرسة ، وكان مجموع الإيرادات الموقوفة عليها تبلغ سبع ملايين وستمائة وعشر ألف "تنغة" فضية بخارية، علاوة على سكنها المفروش والمعد للإقامة ، كما كانت في بخارى مدارس أقل من متوسطة وعددها 34 مدرسة ، وكان إيراد المدارس المتوسطة والمدارس الأقل من متوسطة يصل إلى ستمائة وأربعين ألف "تنغة" فضية بخارية ، وعليه فإن مجموع إيراد أوقاف هذه المدارس كانت حوالي ثمانية ملايين وخمس وعشرين ألف "تنغة" فضية ، وكان طالب العلم يحصل على " تنغة " فضية واحدة كمصروف جيب يومياً . [1]

وأما عدد الطلبة الوافدين للتحصيل من مدارس بخارى ، من أرجاء وسط آسيا وشمال القوقاز وأفغانستان وبعض الدول الإسلامية الأخرى فيصل إلى أكثر من عشرة آلاف من

---

(2) I bid

(3) السيد عبد المؤمن أكرم : أضواء على تاريخ توران " تركستان " ، مكة المكرمة ، 1399هـ .

(1) نصر الله مبشر الطرازي : المرجع السابق ص 8 .

الطلاب يتلقون العلم ستة شهور ، والبقية من السنة أجازة ، وكان أهالى مدينة بخارى يحترمون الطلبة ويهبونهم مبالغ من المال ، وكان الطلبة يتزوجون من فتيات بخاريات ، ولذلك ضرب المثل القائل : " بخارى غريب برور " أي بخارى العطوفة على الغرباء .[2]

وتعتبر بخارى في العصور الوسطى الإسلامية ظاهرة معمارية عظيمة ، ففي القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين كان التقدم الإبداعي للنظم المعمارية المبكرة مستمراً رغم الكساد الاقتصادي والنزاع المتواصل ، ومع ذلك وحتى في تلك الظروف ظهرت العمارة الإسلامية الأصلية لتشهد بأن روح البنائين الابداعية لم تنته ، وكانت المدينة غنية بمدرسة "ميرعرب" ومجمع المراكز الأساسي " ليوكاليان" في ثلاثينيات القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي ، وخانقاه " خوجة زين الدين " ومسجد " بالند " الرائع ، ومجمع " تاج الدين " ، الذي أنشيء في ذلك الوقت أيضاً .

وقد عاشت مدينة بخارى أزهى عصورها في القرن العاشر الميلادي ، وكانت المدينة في ذلك العصر محاطة بسور ، وكانت طرقات المدينة واسعة ومرصوفة بالأحجار والمنازل والحوانيت ، وكانت منتظمة بشكل يلفت الانتباه ، وقد قام الشيبانيون الأوزبك بحكم المدينة في القرن السادس عشر وجعلوها مركزاً للخانية التابعة لهم .

وقد كتب العالم الإسلامي "النرشخى"[1] عن بخارى فوصفها بأنها " قبة عظيمة للإسلام " وقال عنها العالم الإسلامي المشهور "الثعالبي" في كتابه المعروف "يتيمة الدهر" إن بخارى: عش العلماء وقلعة الملك وكعبة العلم ، وهي الساحة التي تربى فيها أكبر علماء العصر ، وهي السماء التي لمعت فيها نجوم الأدب .

كما ذكر العالم الشهير " أبو العباس " في كتابه " أخبار الدول " عن بخارى بأن لها دوراً كبيراً في الحضارة والعلوم الإسلامية ، حيث نشأ بها أكبر علماء الفقه والشريعة الإسلامية ، ولذلك فهي : مدينة الفقهاء ، ومكان العظماء ، وملجأ العلماء ، حيث يفد إليها العلماء من كل حدب وصوب ".[2]

---

(2) نفس المرجح . والتنغة كانت عملة مستعملة في ذلك الوقت بوسط آسيا .

(1) أبو بكر بن محمد النشرخي : تاريخ بخارى ، عربه عن الفارسية ، أمين عبد المجيد ، 1993م .

(2) أحمد أمين جمعة : المؤسسات الإسلامية في منطقة آسيا الوسطى ـ دراسة حضارية معمارية أثرية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ـ معهد الدراسات الآسيوية ، جامعة الزقازيق 2002م ، ص 108 ـ 115 .

**ب . مدينة سمرقند :**

تأتي سمرقند في المرتبة الثانية من الدور الحضاري بوسط آسيا بعد بخارى ، وكانت سمرقند حاضرة تيمور لنك ، وقد زخرت بكثير من المساجد والمكتبات والمدارس والمراصد الفلكية ، حيث كان يوجد بها أول مرصد فلكي أنشيء في وسط آسيا ، وهو مرصد " أولوغ بك " ومدرسته التي كتب على بابها بخط جميل على أرضية تركوازية زرقاء بالفسيفساء الخزفية الحديث الشريف : " طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة " ، الأمر الذي يؤكد نظرة الأتراك في وسط آسيا لقيمة العلم .

كما ظهرت في سمرقند سيدة تركية تفقهت في العلوم الإسلامية ، وخاصة الفقه حتى لقبت "بالفقيهة" وهي أعلى مرتبة دينية ، وهي السيدة "فاطمة بنت محمد السمرقندي" ، والتي ولدت في سمرقند في القرن الخامس الهجري ، ووالدها يعد من أكبر الفقهاء في عصره ، وهو أبو بكر علاء الدين محمد بن أحمد بن السمرقندي . الذي توفي سنة 1144م . ، وقد تزوجت فاطمة من عالم بارز كان من طلاب العلم الذي تتلمذ علي يد والدها ، وهو أبو المنصور الكاساني.[3]

وتعتبر مدينة سمرقند ذات أصول تركية أقوى من مدينة بخارى ، وكان طريق الحرير يمر بها ، ومن ثم استفاد الأتراك من هذا الطريق واستقروا في سمرقند حتى ازدهرت عمراناً وحضارة ، وقد هدمها جنكيز خان عام 1220م ، إلا أنها عادت وشهدت مرحلة ازدهار ثانية في القرن الرابع عشر بعد أن فقد المغول سلطتهم عليها ، فولدت من جديد لتصل إلى قمة ازدهارها مع حكم تيمورلنك (1336 . 1405م) الذي جعلها عاصمة امبراطوريته . كما ذكرنا . الشاسعة ، وأطلق عليها " مركز الكون " وزينها بمبان معمارية فريدة ، وسار " ألغ بك " (1409 . 1499م) حفيد تيمورلنك على نفس النهج ، بل زاد فيه .[1]

**رابعاً : العقيدة مصدر إلهام :**

---

(3) أحمد أمين جمعة : المرجع السابق ، ص 50 .

(1) رلي الزين : سمرقند ( مركز الكون ) أبواب التاريخ تفتح ، المستقبل ، جريدة الحياة السعودية 1992/10/24م.

" أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله " هذه الشهادة هي مدخل الإسلام : أن تؤمن بالله وتصفه بما تتصف به ذاته المقدسة في كتابه ، فهو تعالى الموصوف بكل كمال ، المنزه عن كل نقص : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (سورة الحديد الآية 3) وهو تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ ( سورة الشورى الآية 11) . وجاءت السنة النبوية مبينة للقرآن الكريم ، وبها اجتنب المسلمون وبخاصة في بيوت الله . تصويراً وتجسيد الإنسان والحيوان ، وحلت " الكتابة " مكاناً رفيعاً في تمجيد رب العالمين.

ولقد خلق الله الكون في نظام دقيق يقول الله تعالى واصفاً ذاته: ﴿ ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ . الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴾ (سورة السجدة الآيتان 6،7). والآيات كثيرة في القرآن الكريم تدعو إلى التأمل في بديع صنع الله .[2]

وقد خلق الله الإنسان وجعله خليفته في أرضه ، لم يأتها ليكفر عن خطيئته ، وأرسل إليه الرسل مبشرين منذرين ، ودعاه إلى التأمل في جمال الخلق : السماوات والأرض والغلاف الصخري والمائي ، الحيوان ، النبات ، الإنسان ، وجعل هذا التكامل سبيلاً إلى الإيمان ودعوة إلى العمل الصالح ، وعمارة الحياة ، ووعده بالمثوبة على العمل الصالح ، يقول الله تعالى : ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ ( سورة النحل الآية 30). [1]

والواقع أن العقيدة الإسلامية السمحة تركت آثاراً إيجابية في الأذواق المعمارية للمهندسين المسلمين الذين اختطوا المدن ، وشيدوا الأمصار ، فلم تكن المدينة الإسلامية في يوم من الأيام مستقراً لنخبة من الأثرياء ينعمون فيها بالراحة على حساب الفقراء والضعفاء ، ولكنها كانت تجمعاً حضارياً يضم الأبيض والأسود والغني والفقير ، والعالم وغير المتعلم ، وفي جو المدن الإسلامية المتسامح هذا ، ظهرت الحضارة التي ملأت العالم نوراً وعلماً وخيراً وفكراً ولقد

---

(2) عبد العزيز كامل : الفنون الإسلامية ، من أعمال الندوة العالمية المنعقدة في استانبول ـ أبريل 1983م ، دار الفكر ـ دمشق ، 1989م ، ص 39 .

(1) عبد العزيز كامل : المرجع السابق ، نفس الصفحة .

شجعت العقيدة الإسلامية على إقامة المدن والتجمعات الحضرية في كل الأقطار[2] ، ولم تكن المدن الإسلامية مجرد ظاهرة جغرافية أو تاريخية فحسب ، بل كانت أولاً وقبل كل شيء ظاهرة دينية اتسمت بتعمير وتنظيم مكاني،وامتزجت فيها القوانين المادية بالقيم الروحية الإسلامية .

وتعتبر العمارة من أهم المجالات الفنية التي تفوق فيها المسلمون ، وقد زاول المعماريون بناء جميع أنواع العمائر فخلفوا لنا كثيراً من الأبنية دينية كالمساجد والمدارس والكتاتيب ، والخانقاوات والأضرحة، ومدنية كالقصور والبيوت والأسواق والوكالات والحمامات والأسبلة والبيمارستانات ، وعسكرية كالقلاع والأبراج والأسوار وأبواب المدن والأربطة ، وتتميز العمارة الإسلامية بوحدات وعناصر معمارية خاصة بها كالمآذن والقباب والمداخل والعقود والأعمدة والتيجان والمحاريب ، والأروقة والبائكات والشرفات والنوافذ والأفاريز وغيرها . وقد استخدم في زخرفة العمائرسواء من الداخل أو الخارج أساليب كثيرة منها تشكيل الجدران نفسها على هيئة حنيات ، أو قبوات ، أو عقود ، أو أضلاع أو الحفرالبارز أو الغائر، وتظهر المقرنصات بصفة خاصة في مداخل العمائر السلجوقية والمملوكية في مناطق الانتقال من القباب ، ومن الأساليب التي استعملها المسلمون في زخرفة العمائر أيضاً كسوة الجدران ، واستخدموا في ذلك وسائل مختلفة منها ألواح الرخام والمرمر .[3]

ولقد كان في خاطر كل فنان مسلم ، حفظ أو سمع أو وعى من آيات كتاب الله العزيز كقوله تعالى : ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾(سورة الأعراف الآية 32) . ولابد إن كان في خاطره أيضاً ، عناية الله سبحانه وتعالي بالزينة ، ففي الحياة زينها بالمال والبنون ، وفي السماء بالبروج والنجم والكواكب ، وفي الأرض بالإنسان حيث أحسن صورته وبألوان الأزهار والأشجار وسائر المخلوقات السابحة في الماء والمحلقة في الهواء ، وأنه سبحانه وتعالى طلب من كل عباده أن يتدبروا خلقه : ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ .

(2) محمد عبد القادر الفقي : عمارة المدن في الإسلام ، مجلة الوعي الإسلامي ، العدد 306 جمادي الآخرة 1410هـ يناير 1990م ، تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإدارية ، الكويت ، ص 77 .
(3) حسن الباشا : مدخل إلى الآثار الإسلامية ، القاهرة ، 1981م ، ص 103 .

﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ . تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾ ( سورة ق الآيات 6 ، 7 ، 8 ) .

وإذا كان الله الخالق البارئ المصور ، قد أبدع هذا الجمال ، أفلا يجدر بعباده أن يحاكون ذلك الجمال ، إنه قد استخلفهم في الأرض ، وله المثل الأعلى سبحانه وتعالى ، فكيف يكون حراماً مضاهاة خلق الله في الجمال والإتقان . وماذا يفهم المسلم ، بعد إيمانه وحرصه على عقيدته ، من آيات قوله تعالي: ﴿ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ( سورة النور الآية 38 ) .

ولم يكن الفنان المسلم رمزياً ولا انطباعياً ولا تكعيبياً ولا سريالياً ، وإنما كان حنيفاً مسلماً ، فقد رأى أن يزين معظم أعماله بآيات من كتاب الله ، ففيها الحكمة وفيها الموعظة ، وآياته تهدي إلى الرشد وإلى التي هي أقوم ، وهو إذن لم يكن فيلسوفاً حين كتب أو رسم أو نقش، وإنما كان مؤمناً. وببساطة الوحدانية والطريق المستقيم ، وإذا كان قد شغل المسطحات بوحدات زخرفية ، فلم يكن ذلك فزعاً من الفراغ ، وإنما كان كالصلاة التي يكررها كل يوم وطول العمل ؛ وكذكر الله مع حبات المسبحة عشرات المرات ، بل مئات المرات .[1]

وقد نشأت الفنون الإسلامية شأنها شأن كثير من مظاهر الحضارة الإسلامية . على أساس قويم من العروبة والإسلام، وتطورت على يد الشعوب المختلفة التي اعتنقت الإسلام، وأفادت من التقاليد الفنية القديمة لهذه الشعوب ، وبخاصة الفنون الساسانية والهلينستية والبيزنطية ، غير أنها ظلت رغم تطورها وتفرعها محتفظة بالروح العربي الإسلامي الذي كان له الفضل الأول في أصالتها ووحدتها . [1]

لقد تأثر الفن الإسلامي بمؤثرات متنوعة في مواضع متعددة ، وأزمنة متفاوتة ، ولكن التأثيرات والألوان الزمنية ، كانت دوماً على الأطراف البعيدة لا في المركز وتحت تأثير موجات الغزو الضخمة لا التأثيرات المحلية ، ولم تكن نتيجة هذه المؤثرات زوال الطابع الإسلامي الخاص بقدر ما كانت تحويرات وتعديلات محدودة على هذا الطابع وتلوينات فيه . يظهر ذلك

(1) أكمل الدين إحسان أوغلي : الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ، نقله إلى العربية صالح سعداوي ، ص 31 .
(1) حسن الباشا : المرجع السابق ، ص 20 .

كله في مخططات المساجد وزينتها، وأشكال المآذن ظهوره في الأبريق والمصباح ويظهر في الخاصة الفنية ظهوره في تنوع الخط ورسم السجاد.

وتعتبر العمارة الإسلامية هي الفن الجامع للفنون ،والمسجد بأشكاله الثلاثة ( ذي الصحن المكشوف ، وذي الإيوان المربع والمقبب) والقصر والضريح والمدرسة والقلعة والزاوية كلها بجانب وظيفتها النفعية ، تستقطب الفنون الأخرى ، وتحتضنها ، كانت القاطرة التي تحملها ، ولكنها لم تكن بهذا وحده عنصر توحيد في الإبداع الجمالي الإسلامي ، ولكن في تكوينها البنائي أيضاً ، القيمة الإسلامية بجميع أشكالها ( البصلية، ونصف الكروية ، والقطاع القروي والمقرنصة ) . وهي صورة الاحتواء الإلهي للكون والاحتضان الحميم للوجود الكلي .

أما القواعد التي تقوم عليها فأعمدة منفردة وأقواس محنية وجدران مربعة تمثل كل الاتجاه البشري نحو الله ، أما المقرنصات التي حل بها الفنان الإسلامي من الأندلس إلى الهند لقاء الحركة التكوينية اللانهائية مع الأرض،وتباينات الحرارة والبرودة والجفاف ، وتناقضات البشر وعجزهم عن السمو ، تلك المقرنصات تحمل السمات الأرضية والسماوية معاً ، تماماً كما أن الأنبياء يحملون هذه السمات في توسطهم بين عالم الله الأكبر وبين عالم الناس المنفصل كل الإنفصال عنه .

قامت الفنون الإسلامية على أسس عربية راسخة ، وتكونت حول محاور إسلامية صحيحة وأول هذه الأسس أو المحاور المسجد الذي يعتبر أهم معالم الفنون الإسلامية، وتعمير المسجد من أفضل القربات إلى الله حيث يقول سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ ( سورة التوبة الآية 18 ) .

ويقول النبي ﷺ : " من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاه بنى الله له بيتاً في الجنة " ، وحين كان النبي ﷺ وصحابته يضعون أساس المسجد النبوي، كانوا في الوقت نفسه يضعون أساس من العمارة والزخرفة الإسلامية : إذ تطورت عمارة المسجد النبوي الشريف بعد ذلك على أساس التصميم الذي بدأه النبي ﷺ ، وظل هذا المسجد نموذجاً احتذاه مشيدوا المساجد في الأقطار الإسلامية الأخرى طوال القرون الأربعة الأولى من الهجرة ، مثل مساجد البصرة

والكوفة والفسطاط والقيروان وبني أمية في دمشق ، كما صار طرازه أهم الطرز المعمارية لبناء المساجد في العصور المختلفة ، وكان الدافع على ذلك الحرص على الاقتداء بالسنة النبوية الشريفة .[1]

وفي مباني المساجد تطورت أساليب التخطيط والتصميم بالإضافة إلى العناصر المعمارية التي إنتقلت إلى سائر أنواع المباني الإسلامية من قصور ومدارس وقلاع وأضرحة ونجد ذلك فضلاً عن أساليب زخرفية من هندسية ونباتية وكتابية، ومن جهة أخرى يلاحظ أن الفن الإسلامي نشأ بدافع الرغبة في الإجادة والإتقان مستمدة من الإسلام نفسه ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : " إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه " . ومن المعروف أن المبالغة في الإتقان والإجادة تؤدي بطبيعتها إلى التنسيق والتزويق ، مما يفسر لنا الدرجة العظمى من التألق والزخرفة التي بلغتها الفنون الإسلامية .

وكان ميل الفنون الإسلامية إلى الطابع الزخرفي من آثار عقيدة الإسلام ، وقد تم البعد تقليد الطبيعة وعن محاكاة الواقع حتى يتماشى مضاهاة خلق الله سواء في صور الكائنات الحية أو في الصور النباتية ، كما تفوق في مجال الزخارف الهندسية التي بلغ فيها مرتبة لا يكاد يدانيه فيها فن آخر. وطور المسلمون الزخارف الهندسية على أسس مدروسة ، وإبتكروا أنواعاً من هذه الزخارف لم يسبقوا إليها ، ولا شك أن من عوامل تفوقهم في هذا المجال نبوغهم في الرياضيات ، بالإضافة إلى إحساسهم الموسيقي ، الذي اكتسبوه بفضل فطرتهم الشعرية . [1]

وقد كان لتعاليم الإسلام أثر مهم في فنون التصوير ، حيث كان من نتائج التحريم الإسلامي لتجسيد المعتقدات الدينية ، أن بعد التصوير في المجتمع الإسلامي عن الدين ، فلم يدخل في المساجد حيث إستبدل به الكتابات العربية [2] ، ولم يستخدم في تجميل المصاحف ،

---

(1) Cresuwell, (K.A.G.): A Bibliography of the Architecture, Arts and Crafts of Islam, 1967. supplemet, 1973 p. 36.

(1) حسن الباشا : المرجع السابق ، ص ص 40 - 41 .

(2) عادة ما تزخرف جدران الكنائس البيزنطية وغيرها من المنشآت الإسلامية بصور تمثل موضوعات دينية يقصد منها أغراض دينية وتعليمية وفنية ، وقد استبدل بهذه الصور في المساجد كتابات بالخط العربي الجميل تحقق الأغراض نفسها وتماثل في أشكال وتصميمات النسب الجمالي في الصور وإن لم تكن تفوقها .

حيث إقتصر على الزخارف الهندسية والعناصر النباتية المحورة ، ولم يستعمل في توضيح كتب الدين ، ولم يتخذ كوسيلة للوعظ والإرشاد . [3]

# ( الملاحق )

لوحات مأخوذة من رسالة أحمد أمين جمعة لدرجة الدكتوراه بعنوان : ( المؤسسات الإسلامية في منطقة آسيا الوسطى . دراسة حضارية معمارية أثرية ) .

(3) أحمد أمين جمعة : المرجع السابق ، ص ص 264 ، 265 .

ملحق رقم (مُحَرَّمْ) : مسجد بيبي خانوم : صورتان للمئذنة والمدخل .

ملحق رقم (صَفَرْ) : ميدان الريجستان ( مدرسة شيردار . مدرسة تيلاكاري . مدرسة أولوغ بك). وبوابة مسجد بيبي خانم ) .

ملحق رقم (رَبِيعْ أَوَّلْ) : مسجد كلان " منظر عام " .

ملحق رقم (رَبِيعْ ثَانِ) : واجهة مدرسة تيلاقاري ( سمرقند ) .

ملحق رقم (جُمَادَى الأُولَى) : نماذج من القرآن الكريم المهداة إلى الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان ، ومدرسة مير عرب ( منظر عام ) .

*****

## ( مصادر البحث )


مُحَرَّمْ . بارتولد ترجمة أحمد السعيد سليمان : تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، القاهرة  م.

صَفَرْ . محمد على البار: المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، جدة  هـ  م.

رَبِيعٌ أَوَّلْ . محمود شاكر : تركستان ، بيروت ،  م .

رَبِيعٌ ثَانْ . محمد حسن القيلة : أواسط آسيا الإسلامية بين الانقضاض الروسي والحذر البريطاني ، القاهرة ،  م .

جُمَادَى أَوَّلْ . السيد خالد المطري : دراسات في سكان العالم الإسلامي .

جُمَادَى ثَانْ . محمد منير مرسي : أبو دلف ورسالته الثانية ، مجلة الخليج الجديدة ، أكتوبر  م.

رَجَبْ . لوثروب ستودارد، ترجمة عجاج نويهض: حاضر العالم الإسلامي، رَبِيعٌ ثَانْ أجزاء ، بيروت.

شَعْبَان . أحمد محمود الساداتي: تاريخ الدول الإسلامية في آسيا وحضارتها ، القاهرة .

رَمَضَانْ . أوقطاي أصلان آبا : فنون الترك وعمائرهم ، ترجمة أحمد السعيد سليمان ، مكرز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية . استانبول ،  م .

- محمد الحسيني عبد العزيز : مجلة الوعي الإسلامي .
- نصر الله مبشر الطرازي: نبذة تاريخية عن مدينتي بخارى وخيوة .
- أبو بكر محمد النشرخي : تاريخ بخاري . عربه عن الفارسية ، د.أمين عبد المجيد بدوي ، ونصر الله مبشر الطرازي ،  م .
- السيد عبد المؤمن السيد أكرم : أضواء على تاريخ توران " تركستان " مكة المكرمة ،  هـ .

- رلي الزين : سمرقند ( مركز الكون ) أبواب التاريخ تفتح المستقبل ، جريدة الحياة السعودية ، / / م .
- عبد العزيز كامل : الفنون الإسلامية ، الندوة العالمية . استانبول ، أبريل م .
- أحمد أمين جمعة : المؤسسات الإسلامية في منطقة آسيا الوسطى . دراسة حضارية معمارية أثرية ، رسالة دكتوراه غير منشورة . معهد الدراسات الأسيوية ، جامعة الزقازيق ، م .
- محمد عبد القادر الفقي : عمارة المدن في الإسلام ، مجلة الوعي الإسلامي ، الكويت ، يناير م .
- حسن الباشا : مدخل إلى الآثار الإسلامية ، القاهرة . م .
- أكمل الدين إحسان أوغلي: الدولة العثمانية ،تاريخ وحضارة ، نقله إلى العربية ، صالح سعداوي ، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية . استانبول م.

20 - Gonals, K.: The Pearls of Uzbekistan, Bukhara, Samarkand, Khiua, 1973 .

21- Oglu (G.R.) : Kultur Bakanligi , 'Orta Asya' da Turk Mimarisi, Ankara,1998.

22 - Cresuwell, (K.A.G.) : A Bibliography of the Architecture, Arts and Crafts of Islam, 1967.